حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط

٧

الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
رئيس مجلس الإدارة
أ.د. أيمن فؤاد سيد

الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج علي

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط

مجلة سنوية محكمة تعنى بالتاريخ الإسلامي والوسيط
يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط
بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية

كل الحقوق محفوظة
للهيئة المصرية العامة للكتاب

الترقيم المطبوع
2735-3923

رقم الإيداع بدار الكتب
2013/18750

الترقيم الإلكتروني
2735-4725

موقع المجلة على بنك المعرفة:
hsew.journals.ekb.eg

٢٠١٩م

قطعة ٤ بلوك ٧ – المنطقة التاسعة – شارع د. رؤوف عباس- مدينة نصر – القاهرة
تليفون: ٠١١٢٧٣٨١٩١٢ – ٢٧٤٢٨٢٩١ – ٢٧٤٢٨٢٩٦ – فاكس ٢٤٧٢٨٢٩٨

Email: Seehist1945@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ
التَّاريخِ الإسلاميَّ والوسيط

مَجلة عِلميَّة مُحَكَّمة

تُصْدرها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات : الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

eegyptian.historical2021@gmail.com

العدد السابع

القاهرة

١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

رئيس مجلس الإدارة أ.د. أيمن فؤاد سيد

هيئة التحرير

رئيس التحرير: أ.د. حسين سيد عبدالله مراد

مديـر التحرير: د. محمد فوزي رحيل

أ.د. صلاح الدين علي عاشور

أ.د. عبير زكريا سليمان

أ.د. نهلة أنيس مصطفى

د. عبدالناصر إبراهيم عبدالحكم

الهيئة الاستشارية الدولية

أ.د. إبراهيم عبدالمنعم سلامة (مصر)

أ.د. اسحق تاوضروس عبيد (مصر)

أ.د. حاتم عبدالرحمن الطحاوي (مصر)

أ.د. عبدالقادر بوباية (الجزائر)

أ.د. عبدالله بن سعيد الغامدي(السعودية)

أ.د. عبدالهادي ناصر العجمي (الكويت)

أ.د. عفاف سيد صبرة (مصر)

أ.د. فتحي عبدالفتاح أبو سيف (مصر)

ا.د. قاسم حسن السامرائي (العراق)

ا.د. لطفي بن ميلاد (تونس)

أ.د. محمد أحمد بديوي (مصر)

أ.د. محمد عيسي الحريري (مصر)

أ.د. محمد الناصر صديقي (تونس)

Prof. Dr. Albrecht Fuess (Germany)

Prof. Dr. Sylvie Denoix (France)

Prof. Dr. Tetsuya Ohtoshi (Japan)

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها

ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو السمنار أو الناشر

شروط النشر بالحولية

- ترحب الحولية بنشر البحوث العلمية المبتكرة في التاريخ الإسلامي والوسيط باللغتين العربية والإنجليزية.
- يكون البحث في حدود ٣٥ صفحة، بما في ذلك الحواشي اللازمة والملاحق وقائمة المصادر والمراجع.
- ترسل البحوث على موقع الحولية على بنك المعرفة ولن يلتفت إلى الأبحاث التي ترسل عن طريق آخر.
- يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة (CV)، وملخصًا للبحث باللغة العربية ولغة أجنبية في حدود (١٥٠) كلمة لكل منهما والكلمات المفتاحية.
- يقدم الباحث إقرارًا كتابيًّا بأن البحث لم يسبق نشره في أي مجلة علمية أو غيرها، وعدم الدفع به إلى النشر في جهات أخرى[1] بعد موافقة الحولية على نشره.
- تقدم الخرائط والأشكال والرسوم البيانية بأصولها الصالحة للطباعة، وفي حال رغبة الباحث نشرها ملونة يلتزم بدفع تكاليفها.
- تتمتع الحولية بحق الملكية الفكرية للبحوث التي تنشرها، ويمكن للباحث إعادة نشر بحثه في جهة أخرى[1] بعد مرور خمس سنوات على النشر بالحولية، وبموجب أذن كتابي من رئيس تحرير الحولية.

- لا تقبل الحولية البحوث التي سبق نشرها في أي مجلة علمية أو غيرها.
- توضع الهوامش مرتبة بطريقة متسلسلة في أسفل البحث.
- تخضع البحوث قبل النشر للتحكيم العلمي على نحو سري (معمي).
- يتم تقويم البحث وفقًا للعناصر التالية:
  - أن يكون البحث مبتكرًا، ومضمونه متكامل علميًّا.
  - وضوح المنهج، وملائمته لموضوع البحث.
  - رعاية الإخراج العلمي وتوزيع عناصر البحث.
  - سلامة اللغة ووضوح الصياغات والعبارات.
  - كفاءة المراجع وصحة التوثيق، وسلامة الهوامش، ودقة استخدام المصادر والمراجع.
- البحوث التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات عليها تعاد إلى أصحابها لإجرائها، حتى وإن كانت طفيفة، وفي حال ما إذا رأت الحولية عدم نشر البحث، تخطر صاحبه بالاعتذار عن عدم النشر مع بيان الأسباب.

مُقَدِّمَة

يسعد مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالتعاون مع أسرة سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط بالجمعية أن يقدما لكل المهتمين بحقل التاريخ الإسلامي والوسيط الحولية رقم (٧) لعام ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.

وهذا المجلد من الحولية يتضمن خمسة بحوث متميزة من البحوث المُحَكّمة، تتناول عددًا من موضوعات التاريخ الاجتماعي الإسلامي والوسيط، أولها تناول سكان وأسواق دَبَاعاصمة عُمان في عصري الجاهلية وصدر الإسلام، وعرض الثاني لأهمية كتب المناقب في دراسة التاريخ للمغرب الأقصىٰ، أما البحث الثالث فأكد تأثير الحرب علىٰ البنية الاجتماعية في بلاد السودان الغربي. والبحث الرابع تناول طائفة المؤذنين في مصر في العصر المملوكي. وجاء البحث الأخير عن الدير اللاتيني (البندكيتي) في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية.

وبعد... نشكر إسهامات الباحثين راجين أن نستفيد جميعًا من جهدهم وفكرهم، وأن يكون الجهد قد أضاف إلىٰ المكتبة التاريخية جديدًا وأن تحوز هذه الأبحاث رضاء الباحثين والقراء.

ونأمل أن يساهم الباحثون المتخصصون ببحوثهم في أعداد الحولية القادمة، وأن نتلقىٰ الاقتراحات حول ما يضيف إلىٰ الحولية الجديدة في حقل البحث التاريخي الإسلامي والوسيط.

واللهُ ثم الوطن العزيز من وراء القصد،،،

أسرة التحرير

المحتويات

١- سُكان وأسواق دَبَا فرضة عُمان والعرب المشهورة في عصري الجاهلية وصدر الإسلام ١١-٥٠

إبراهيم سلامة عبدالمنعم أبو العلا

٢- كتب المناقب مصدرا لدراسة الدور المجتمعي لمتصوفة المغرب الأقصىٰ في عصر الموحدين ..... ٥١ - ٨٦

حسين عبدالله مراد

٣- الحرب والبنية الاجتماعية في السودان الغربي ..... ٨٧ - ١٣١

بطل شعبان محمد

٤- طائفة المؤذنين في العصر المملوكي ..... ١٣٣ - ١٧٤

سماح عبدالمنعم السلاوي

٥- الدير اللاتيني (البندكيتي) في جبل طابور علىٰ عصر الحروب الصليبية ..... ١٧٥ - ٣٠٠

حجازي عبدالمنعم سليمان

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط ٧ (٢٠١٩)، ١٣٣ - ١٧٤

طائفة المؤذنين في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)

سماح عبد المنعم السلاوي[١]

الملخص:

الأذان هو نداء ينادي به للصلاة عند المسلمين، ويؤذّن كل يوم في بداية وقت كل صلاة من الصلوات الخمس المفروضة. كان المؤذن يؤذن من مكان مرتفع، من علي المنارة أو من علي سطح أو المقصورة أو علي دكة المؤذنين، ولم يقتصر دوره علي ذلك بل قام بمهام أخرىٰ، كما توارث بعض الأسر هذه الوظيفة لعدة سنوات، وفي العصر المملوكي كَثُرَ عدد المؤذنين في المساجد والزوايا الخانقاوات ومقابر الأمراء و سلاطين المماليك، وخصص لهم رواتب ومنح وعطايا، كما حدث تغيير علي صيغة الأذان من فترة لأخري وفقًا للأهواء السياسية، وكان اختيار المؤذن يتم من خلال قواعد وشروط وجب توفرها فيه.

(١) دكتوراه تاريخ العصور الوسطىٰ، كلية البنات – جامعة عين شمس، مدرس تاريخ بوزارة التربية والتعليم المصرية.

Abstract:

Azan is a call to prayer for Muslims, and it is called every day at the beginning of the time for each of the five obligatory prayers. The announcer used to call from a high place, from the lighthouse or from the roof or the cabin or on the announcer bench, and his role was not limited to that, but he carried out other tasks, and some families inherited this position for several years, and in the Mamluk era the number of announcers increased in the mosques and corners and the khanqawat And the tombs of sultans and princes Mamlukes, and allocating salaries, grants and gifts to them, as there was a change in the wording of the call to prayer from one period to another according to political whims, and the choice of the announcer was based on rules and conditions that must be met.

المقدمة:

إن العبادات التي فرضها الله علي المسلمين هي وسائل للتقوى، والصلاة هي أحدي هذه العبادات، وأن مراعاة التقوي في الصلاة وتقديم الصدقات لم يكن معروفا لدي العرب في الجاهلية، لذا نزل القرآن الكريم يأمر بأداء الصلاة، وارتبط بها المناداة للصلاة أي الأذان، والتي لحقه التغيير بالزيادة أو النقصان، ومن هنا يمكن القول بأن الأذان لغة معناه:الإعلام بأوقات الصلاة، وهو واجب وجوب السنن في المساجد وبالتالي فالمؤذن هو الشخص المسئول عن إعلام الناس بوقت الصلاة. وترجع أهمية الدراسة إلي قلة الدراسات العلمية التي تتناول وظيفة المؤذن رغم أنها وظيفة دينية كالإمامة والقضاء والمحتسب وغيرها، فربما نظر البعض للمؤذن نظرة دونية واعتبروا أن عمله قاصرًا علي أداء الأذان فقط ولكن من خلال المصادر التاريخية والوثائق ثبت أنه يقوم بمهام مختلفة.

وتتناول هذه الدراسة عدة محاور منها: دراسة طبيعة هذه الوظيفة من حيث بدايتها، والشروط الواجب توافرها في المؤذن عند اختياره، وارتباط وظيفة المؤذن ببعض العائلات لفترة طويلة، ومدي أحقية المؤذن في الجمع بين عدة وظائف في وقت واحد، كما توضح الدراسة دور ومهام المؤذن التي لم تكن قاصرة علي الإعلام بوقت الصلاة فقط بل كان مكلفًا بأعمال أخري كالسفر مع السلطان أو الخليفة، واستقبال شخصيات مهمة في الدولة وغير ذلك، وبالتالي أصبح للمؤذن مكانة في الدولة سواء لدي العامة أو السلطة الحاكمة وهل تعرض المؤذن للظلم أو شارك في جرائم ما وعوقب عليها؟، ومن خلال وثائق الوقف الخاصة بالمنشآت المرتبطة بوجود المؤذن بها استطعنا تحديد عدد المؤذنين في كل مكان وراتبهم الشهري والصدقات الممنوحة لهم، أما صيغة الأذان ذاته فقد تعرضت للتغيير بزيادة بعض الجمل

أو حذفها وفقًا لظروف العصر، ثم تطرقت الدراسة للحديث عن كيفية أداء جوقة المؤذنين للأذان كما حددتها الوثائق، وأخيرًا تحدثت في الدراسة عن المواضع والأماكن التي كان يقف عندها المؤذن لأداء الأذان. وتم اتباع المنهج التحليلي والنقدي للمعلومات الواردة عن حياة المؤذن وراتبه من خلال وثائق الوقف، وكذلك المنهج الوصفي لتقديم صورة عن المواضع التي كان المؤذن يقف عندها.

اعتمدت كثيرًا علي كتب التراجم والطبقات لما تحويه من معلومات قيمة عن المؤذنين في العصر المملوكى، وكذلك علي حجج الوقف التي وضحت عدد المؤذنين ورواتبهم والمكان المخصص للأذان وكيفية ترتيب الجوقة، وهناك بعض الدراسات المرتبطة بموضوع الدارسة منها: كتاب الأوقاف والحياة الاجتماعية للدكتور محمد أمين، وليلي عبد المجيد وكتابها التنظيمات المالية والإدارية بمكة، محمد حسني نويصر وبحثه المعنون بـ دكة المؤذنين في العصرين المملوكي والعثمانى، بالإضافة إلي معلومات متناثرة في المصادر التاريخية المعاصرة.

التمهيد:

شُرِع الأذان بنهاية السنة الأولي للهجرة ٦٢٢م، وكما يقول ابن القيم والديار بكري أن للرسول صلي الله عليه وسلم أربعة مؤذنين؛ اثنين في المدينة، أولهما بلال بن رباح، وهو أول من أذن لرسول الله صلي الله عليه وسلم ولم يؤذن بعده لأحد من الخلفاء، إلا أن عمر رضي الله عنه لما قدم الشام حين فتحها، أذن بلال، فتذكر الناس النبي صلي الله عليه وسلم، قال أسلم مولي عمر: فلم أر باكيًا أكثر منه يومئذ والآخر هو عمرو بن أم مكتوم القرشي الأعمىٰ، واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعه الفهري، من بني عامر بن لؤي وأذن له عليه الصلاة والسلام بقباء سعد بن عائذ، أو أبن عبد الرحمن، المعروف بسعد القرظي، مولي عمار، وفي مكة كان أبو محذورة، وفي عهده صلي الله عليه وسلم كان الأذان بين بلال، وأبن أم مكتوم، وسعد القرظي في المدينة المنورة، وأبي محذورة في مكة المكرمة(٢). ثم تعاقب المؤذنون في أداء رسالتهم زمنا بعد زمن، حتي صار الأذان من جملة الوظائف في خلال العصور الإسلامية المختلفة، وتوارثته أسر معينة.

تعيين واختيار المؤذن:

بعد أن أصبح المؤذن موظفًا في الدولة، كان لابد من وضع شروط معينة لاختياره وتحديد مواصفات يتسم بها دون غيره وعمل اختبار معين له

(٢) ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر توفي ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م): زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عبدالقادر الأرنؤوط، بيروت - مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٩م، ص ٤١؛ الديار بكري (حسين بن محمد بن الحسن توفي ٩٦٦هـ/ ١٥٥٨م): تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج٣، بيروت - دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م، ص ٢٥٥.

للتأكد من قدرته علي تولي هذه الوظيفة. وهذه الشروط الواجب توافرها في المؤذن حددتها كتب الفقه والحسبة ووثائق الوقف، وهي كالتالي:

يُشترط أن يكون المؤذن مسلمًا عاقلًا ذكرًا ويجوز أذان الصبي المميز(٣)، في حين ينهي ابن الحاج عن أذان الصبى، ويري أنه بدعة وأن التقوي صفة أساسية في المؤذن وهو لا يتصف بها وينبغي أن يكون متزوجًا ليغض البصر والغالب في الشباب عدم ذلك(٤)- قال الرسول عن المؤذنين أنهم"أمناء والأئمة ضمناء، فأرشد الله الأئمة وغفر للمؤذنين "(٥)، ولذلك ينبغي أن يكون المؤذن علي قدر كبير من الثقة والأمانة (٦)، كما ينبغي عليه أن يكون عارفًا بأوقات الصلاة وهو ما يعرف بعلم الميقات وعلم الهيئة(٧)، ومعرفة منازل القمر وشكل الكواكب ليعلم أوقات الليل ومضي ساعاته

(٣) الشيرازي (جمال الدين عبدالرحمن الشيرازي توفي ٧٤٤هـ/ ١٣٤٤م): نهاية الرتبة في طلب الحسبة، القاهرة – دار الكتب المصرية، ب.ت، ص٣٠ ؛ ابن الأخوة (محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة توفي سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م): معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق روبن ليوى، القاهرة – مكتبة المتنبي ب.ت، ص ١٧٦.

(٤) ابن الحاج (أبو عبدالله محمد بن محمد العبدري توفي ٧٣٧ه/ ١٧٣٧م): المدخل إلي الشرع الشريف، ج٢، تحقيق أحمد فريد المزيدى، القاهرة –المكتبة التوفيقية، ٢٠١٤م، ص٢٣٣.

(٥) البيهقي (أبي بكر أحمد بن الحسينبن بن علي توفي ٤٥٨ه/ ١٠٦٥م): السنن الكبرى، ج١، تحقيق محمد عبدالقادر عطا الله، بيروت، –دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، ص ٦٣٤.

(٦) الماوردي (علي بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي): الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق أحمد جابر بدران وعلي جمعة، القاهرة – دار الرسالة، ٢٠٠٢م، ص ٢٩٦؛ الشيرازي:نهاية الرتبة، ص٣٠ ؛ ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر توفي ٧٧٩ه/ ١٣٧٧م): تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج ٢، تحقيق محمد محمد أمين وسعيد عاشور، القاهرة – الهيئة العامة، ١٩٨٢م، ص٤٠٩.

(٧) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، القاهرة –دار النهضة العربية، ١٩٨٠م، ص١٩١؛ هويدا الحارثي: كتاب وقف السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون علي مدرسته بالرميلة، بيروت –الكتاب العربى، ٢٠٠١م، ص ١٥٧.

وهي ٢٨ منزلة[٨]، ولذلك جاء في كتب التراجم ووثائق الوقف بأن كثيرًا من المؤذنين درسوا علم الميقات[٩]، أما السبكي الفقيه يري وجود ارتباط بين وظيفة الميقاتي وبين المؤذن؛ فقد ألزم المؤذن أو رئيس المؤذنين بمعرفة علم الميقات ليخبر الناس بدخول الأوقات المشروعة للصلاة وإن لم يوجد يجب اختيار شخص آخر سمي الميقاتي [١٠]، ومن المستحسن أن يكون المؤذن حسن الصوت [١١]، وينهاه المحتسب عن التغني في الأذان والتمطيط والتطريب[١٢]، وهناك بعض حجج الوقف التي احتوت علي هذه الشروط مجملة؛ مثل أن يكون المؤذن "ذا عفة وأمانة وثقة وديانة وصوت جهر وحسن طيب وترتيب مستحسن" [١٣]، ومن خلال كتب التراجم التي تناولت حياة عدد كثير من المؤذنين تبين أن معظم المؤذنين كانوا علي قدر

---

(٨) ابن الأخوة:معالم القربة، ص ١٧٦-١٧٧.

(٩) السعقلانى(الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر توفي سنة ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م): إنباء الغمر بأنباء العمر، ج٢، تحقيق تحسن حبشى، القاهرة -المجلس الأعلي للشئون الإسلامية، ١٩٩٤م، ص٢٥؛ الصيرفي (علي بن داود الجوهري الصيرفي توفي ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م): نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، ج١، تحقيق حسن حبشى، القاهرة - دارالكتب المصرية، ١٩٧١، ص١٤٨؛ السخاوي (شمس الدين محمد ابن عبدالرحمن توفي ٩٠٢ه/ ١٤٩٧م):الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٣، بيروت - دار الجيل، ١٩٩٢م، ١١٩، ج٤، ص٢٦١، ج٥، ص٢٦، ج٦، ص٢٥٥.

(١٠) السبكي (تاج الدين عبدالوهاب توفي ٧٧١ه/ ١٣٦٩م): معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار وأبو زيد شلبى، القاهرة -مكتبة الخانكى، ١٩٩٣م، ص ١١٥.

(١١) ابن الأخوة:معالم القربة، ص١٧٦ ؛العسقلاني:الدرر الكامنة، ج٣، تحقيق عبدالوارث محمد على، بيروت -دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ص ١٢٣؛ العسقلاني: إنباء الغمر، ج١، تحقيق تحسن حبشى، القاهرة -المجلس الأعلي للشئون الإسلامية، ١٩٦٩م، ص ٢٤٧، ص٢٥٠؛ دولت عبدالله عبدالكريم:الخوانق في مصر في العصرين الايوبي والمملوكى، دكتوراة في الآثار الإسلامية غير منشورة، آداب القاهرة، ١٩٧٣م، ٢١٥.

(١٢) ابن الحاج: المدخل الي الشرع، ج٢، ص٢٣١.

(١٣) محمد محمد أمين: الأوقاف الاجتماعية في مصر، ص ١٩٠.

كبير من التفقه في الدين، وخاصة في باب الأذان وعلم الحديث وحاصلين علي إجازة فيه بموافقة أكبر علماء الحديث، مما سمح لهم بتدريس الحديث للآخرين وإعطائهم الإجازة علي ذلك (١٤)، وبالتالي يمكن القول بأن معرفة المؤذن بعلوم الفقه والحديث كان من المتطلبات الواجب توافرها في المؤذن.

وراثة وظيفة الأذان:

يتضح أيضًا أن وظيفة المؤذن أو رئيس المؤذنين تكاد تكون وراثية في أسرة واحدة وينتقل المنصب من الجد للأب والابن أو العم؛ وخاصة إذا توافر في أحد أفراد الأسرة الشروط اللازمة لتوليه المنصب. فمن الملاحظ أن أسرة الكارزوني كان لهم السبق في رئاسة الآذان في الحرم المكي لسنوات عديدة وأصبحت الوظيفة محصورة في أسرته (١٥) وفي دمشق كانت أسرة الواني مسئولة عن رئاسة الأذان في الجامع الأموي (١٦)، وتولي عبد القادر ابن أحمد بن إسماعيل الدمشقي رئاسة الأذان بعد جده لأمه الذي كان مؤذنا

(١٤) العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ١، ص ٣١، ص٥١، ص ١٧٨، ج٢، ص ١٦، ص٥١، ص٨٣، ص ٢٣٦، ج٣، ص ١٢٣؛ السخاوي: الضوء اللامع ج١، ص ١٤٧، ص ٢٠٤، ج٣، ص ١١٩، ج٤، ص ٤، ص ١٥٦، ج٥، ص ٣٤، ص١٤٤، ص ٢٥٥؛ الغزي (نجم الدين محمد بن محمد توفي ١٠٦١ه/ ١٦٥٠م): الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ج١، تحقيق خليل المنصور، بيروت- دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ص٢٧، ص٨٢.

(١٥) الفاسي المكي (تقي الدين محمد بن أحمد الحسني توفي ٨٣٢ه/ ١٤٢٨م): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج٢، تحقيق فؤاد سيد، بيروت - مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م، ج ٥، ص ٦٩-٧٠، ج٥، ص٤٢٨، ص٤٨٨؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج١، ص ٣٤٧، ج٤، ص٢٠٦-٢٠٧، العسقلاني:إنباء الغمر ج٣، ص٣٢٠-٣٢١.

(١٦) ابن كثير (أبو الفدا الحافظ بن كثير الدمشقي توفي ٧٧٤ه/ ١٣٤٣م): البداية والنهاية، ج١٤، تحقيق أحمد عبدالوهاب فتيح، القاهرة - دار الحديث، ١٩٩٨م، ١٨٧.

بالجامع الأموي [١٧]، كما توارثت أسرة إبراهيم المصري وظيفة الأذان في الحرم النبوي ومن بعده أسرة المدني التي كانت متولية الأذان والميقات لفترة طويلة وكان كبيرهم يُعرف بالريس[١٨]أما محمد بن أحمد أبو السعادات المصري كان رئيس المؤذنين بالمسجد النبوي وألقي فيه الدروس والوعظ مثل أبيه [١٩]

الجمع بين الوظائف:

وقد أمدتنا كتب التراجم والطبقات بمادة علمية عميقة عن هؤلاء المؤذنين؛حيث كان للمؤذن الحق في الجمع بين وظيفتين أو أكثر فربما يعود ذلك إلي قدراته وإمكانيته العلمية أو للحاجة إليه لسد العجز في المكان أو لرغبته في زيادة دخله الشهري نظرًا لانخفاض أجرته الشهرية؛ حيث كان أحدهم رئيس المؤذنين ويقوم بالخطابة في المسجد في آن واحد [٢٠]، وهناك من جمع بين وظيفة المؤذن ورواية الحديث والإشراف علي المسجد وقراءة القرآن الكريم[٢١]، ومن هؤلاء أيضًا المؤذن عبد الله بن عبد السلام الكارزوني كان رئيس المؤذنين بمكة لعدة سنين وتولي وظيفة النيابة في الحسبة والقضاء[٢٢]، وهناك من جمع بين الأذان ورئاسة أمر زمام وسقاية

(١٧) السخاوى: الضوء اللامع ج ٦، ص ٢٦١-٢٦٢.

(١٨) العسقلانى: الدرر الكامنة ج ٢، ص ١٧٢، ج٣، ص١٩٢، السخاوى: الضوء اللامع ج٢، ص١٤٥.

(١٩) السخاوي: الضوء اللامع ج ٧، ص ٩٣-٩٤.

(٢٠) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٣، ص٦٢، ج١٤، ص ١٧٩.

(٢١) ابن كتير: البداية والنهاية ج ١٣، ص ١٣٢.

(٢٢) الفاسى: العقد الثمين ج ٥، ص ٢١٢.

العباس مثل أحمد بن سالم بن ياقوت [٢٣]، ثم جمع بين الأذان بالحرم الشريف، وشيخ الفراشين وأمينًا علي شمع الحرم والزيت[٢٤]، وكان نزيل الحرمين محمد بن عبد الله الشمسي الصعيدي مؤذنا بمنارة باب العمرة ومؤدبًا للأطفال [٢٥]، أما محمد بن أبي عبد الله الجمال الحسني أذن بالمسجد الحرام وتولي مشيخة القراء بالمسجد [٢٦]، وكذلك قد يقوم المؤذن بوظيفة مكبر الحرم [٢٧]، وقد يجمع المؤذن بين الأذان والخدمة بأحد الدور المباركة بمكة؛ فعمر النجار كان يؤذن بمنارة باب العمارة وخادم بيت أم المؤمنين بزقاق الحجر[٢٨]، أما إبراهيم بن أحمد بن غنام البعلي المؤذن والذي نشأ بالمدينة المنورة قد عمل أيضًا مؤدبًا للأطفال ومقرئًا[٢٩]، وبعضهم عمل بالصناعة أو بالتجارة؛حيث عمل أحد مؤذني الجامع الأموي بائعًا للحرير ولذلك سمي الحريرى[٣٠]، أوعمل بتجارة البز"الملابس" بتربيعة الجمالون ويبدو أن هذه التجارة مربحة فقد مات احدهم وترك مالًا كثيرًا[٣١]، ومنهم من كان لديه دكان يبيع فيه الفخار بجانب عمله مؤذنًا بجامع الحاكم [٣٢]، أو كان خياطا ولديه دكانًا يصنع فيه الملابس علي باب المدرسة

(٢٣) الحنبلي (شهاب الدين ابي الفلاح عبدالحي بن أحمد توفي ١٠٨٩ه/ ١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٦، تحقيق محمود الأرناؤط، بيروت - دار ابن كثير، ١٩٨٦م، ٢٥٥ص-٢٥٦.

(٢٤) الفاسي: العقد الثمين ج ٣، ص٤٣.

(٢٥) السخاوي: الضوء اللامع ج٨، ص١١٨.

(٢٦) السخاوي: الضوء اللامع ج ١٠، ص ٢٩.

(٢٧) السخاوي: الضوء اللامع ج٣، ص ٣١٩.

(٢٨) السخاوي: الضوء اللامع ج٦، ص١٤٧.

(٢٩) السخاوي: الضوء اللامع ج١، ص٢٢، ج٣، ص٢٢٤، رجب بن الناسخ المؤذن مؤدب الأطفال.

(٣٠) السخاوي: الضوء اللامع ج١، ص ١٤٧، ج٤، ص٢٤٠.

(٣١) السخاوي: الضوء اللامع ج ٥، ص٩٠

(٣٢) السخاوي: الضوء اللامع ج ٢، ص٣٣-٤٣.

البيبرسية[٣٣]، ومنهم من كان طباخًا ومؤذنًا بجامع الحاكم [٣٤]، ومنهم من كان مؤذنًا في الجامع الحاكمي وله حانوت يبيع فيه الخزف المدهون [٣٥]، أما حسن بن علي بدر القميري رئيس المؤذنين بجامع الكبش وبجامع القلعة وأحد مؤذني الحسينية فقد كان بارعًا في علم الفرائض والعروض والميقات والفقه ودَرَّسَ الفرائض بمدرسة جوهر الصفدي بالرملة [٣٦]، وكذلك عبد الحي بن مبارك شاه الخوارزمي القاهري تولي رئاسة المؤذنين بجامع القلعة ودَرَّسَ لفترة طويلة الفقه واللغة العربية [٣٧]، ونظرًا لأن بعض المؤذنين كانوا علي قدر كبير من التفقه في الدين وعلومه فقد تولوا مع الأذان منصب الحسبة في بعض الجهات[٣٨]، وأحيانًا كان يجمع مع الأذان وظيفة نقيب الفقهاء أو نائبًا عن القضاة [٣٩].

واشتهر بعض المؤذنين في مجال الغناء والطرب، منهم نجم الدين الصوفي رئيس المؤذنين بجامع الحاكم الذي كان "بارعًا في فنه له أوضاع عجيبة وآلات غريبة" [٤٠]، وكان المازونى"أحد الأفراد في إنشاد القصيد وعمل السماع، وكان من عجائب الدنيا في فنونه، كان صوته كاملًا.. مع

(٣٣) السخاوي: الضوء اللامع ج ٥، ص١٢٨، عاصم محمد رزق، خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكى، القاهرة -مكتبة مدبولى، ج١، ١٩٩٧م، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٣٤) السخاوى: الضوء اللامع ج ٨، ص٢٤٣.

(٣٥) العسقلانى: ذيل الدرر الكامنة، تحقيق عدنا درويش، القاهرة - معهد المخطوطات، ١٩٩٢م، ص ١٤٠.

(٣٦) السخاوي:الضوء اللامع ج ٣، ١١٩.

(٣٧) السخاوي: الضوء اللامع ج ٤، ٤٠.

(٣٨) السخاوى: الضوء اللامع ج ٥، ٣٤.

(٣٩) النجم الغزي: الكواكب السائرة ج ١، ص٣١٠.

(٤٠) الوردي (زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي توفي ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): تاريخ ابن الوردي جـ ٢، بيروت- دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م، ص٢٩٥.

شجاوة ونداوة وحلاوة، وكان رأسًا في إنشاء القصيد علي الضروب والممدود.. وكان له تسبيح هائل علي المآذن.. وكان يشارك في الموسيقي ويعظ في عقود الأنكحة".[٤١]، وكان المحلاوي مؤذن السلطان الغوري "حسن الصوت مطبوعًا في فنه".[٤٢]

مكانة المؤذن:

تميز بعض المؤذنين بالحظوة عند أهل البلد وعند السلطان؛ فالحسن شهاب الدين أحمد بن فرج المؤذن كان جميل الصوت وتفوق صوته الحسن علي صوت القراء والمؤذنين الآخرين فأحبه الناس[٤٣]، وكذلك كان فاضل مخلوف بن سليمان الشمسي التروجي نزيل القاهرة وأحد مؤذني القصر السلطاني له قبول في أذانه وتسبيحه، وحظي في تلك الأيام بحظوة زائدة ولذلك كثُر تنقله إلي أماكن مختلفة إجابة للسائلين له[٤٤]، وعند السلطان حظيت أسرة الطباطبي ممن تولي منهم مؤذن الركب السلطاني بمكانة مرموقة وكان أفرادها مقربون للظاهر برقوق ونالوا مكانة أعلي من مكانة

---

(٤١) ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن توفي ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م): النجوم الزهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١٦، تحقيق محد حسين شمس الدين، بيروت – دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م، ص ١٦٥؛ ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي توفي ٩٣٠هـ/ ١٥٢٠م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٢ تحقيق محمد مصطفى، فيسبادن – دار النشر فرانز شتاينر، ١٩٧٢م، ص ٣٤٥-٣٤٦.

(٤٢) ابن إياس: بدائع الزهور ج ٤، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة – الهيئة المصرية، ١٩٨٤م، ص ٢١٨.

(٤٣) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤، ٢٢٥.

(٤٤) السخاوي: الضوء اللامع ج ٦، ص١٦٤.

القاضي والمحتسب [٤٥]، كما حظي محمد بن محمد الزفتاوي رئيس المؤذنين بالجامع الأزهر وجامع القلعة عند الأشرف شعبان بمنزلة عظيمة وقربه إليه[٤٦].

ومن تلك العائلات أيضًا عائلة علي بن عمر الزفتاوي الذي كان مؤذنًا وعالمًا بالميقات وخدم به عند الأمير قجماس وسافر معه إلي دمشق وطيبة ثم صار أحد مؤذني السلطان لسكونه وعقله وتوددده وأدبه[٤٧]، أما محمد بن أحمد بن الشهاب القاهري الحنفي الذي خدم مؤذنا وإمامًا للظاهر خشقدم قبل توليه السلطنة، وبعدها صار أحد أئمته، ثم جعله الأشرف قايتباي رئيس مشيخة تربة خشقدم [٤٨]، وقد استطاع احدهم تولي عدة مناصب متوالية؛ فمؤذن جامع القلعة أحمد بن عمر الشهاب الدنجيهي القاهري ترقي لمنصب رئيس المؤذنين بالجامع ثم خطيبًا به، ثم شاهد ديوان علياي الأشرفي ثم كسباي المؤيدى، واستقر إمامًا في القصر، وناظر الأوقاف ثم نيابة الأنظار الزمامية [٤٩]، أما المؤيد شيخ فقد كان يميل للمؤذن المعروف بابن القُرداح والذي تعلم فنونًا عديدة كالموسيقي وعلم

---

(٤٥) العسقلاني: إنباء الغمر ج ١، ص٤٤٤، ج٢، ص٧٤ ؛ المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر توفي سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م):درر العقود الفريدة، ج٢، تحقيق محمود الجليلى، بيروت - دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢م، ص ٢٥٢ ؛ السلوك لمعرفة دول الملوك ج٣ق٢، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة - دار الكتب، ١٩٧٠م، ص ٧٧٧، السخاوى:، الضوء اللامع ٤، ص ٨٦.

(٤٦) العسقلاني:إنباء الغمر ج١، ص٥٣ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٥، ص ٢٧٥ ؛ الحنبلى: شذرات الذهب ج٦، ص٢٣٩.

(٤٧) السخاوي: الضوء اللامع ج٥، ص٢٦٥.

(٤٨) السخاوي: الضوء اللامع ج ٧، ص٦٥

(٤٩) السخاوي:الضوء اللامع ج٢، ص٥٨.

الميقات والفلك ونظم النثر، ولذا كان المؤيد يأخذه معه في متنزهاته ورحلاته وجعله مؤذنًا خاصًا عنده (٥٠)، وكذلك عبد الرزاق بن أحمد البقلي المؤذن الصوفي ساكن زاوية البقلي جعله السلطان مؤذنًا له، وكان يدرس القراءات بالبرقوقية ثم أعطاه مشيخة تربة قانباي (٥١).

كما اهتم الواقفون بالرعاية الصحية، باعتبارها وجهًا من وجوه الارتقاء بالحياة الاجتماعية، وقامت الأوقاف بالدور الأكبر في علاج المرضي من أرباب الوظائف الدينية، فقد اشترط الأمير سيف الدين بيبغا التركماني في وثيقة الوقف علي تربته أن من مرض من أهل الوقف من إمام ومؤذن ومقرئين وغيرهم أو رمد يُصرف له راتبه كاملًا ويُستناب عنه في مدة مرضه من يقوم بوظيفته مقابل نصف مرتب من مال الوقف (٥٢).

ولكن أحيانًا تذكر لنا المصادر التاريخية بأن أحد السلاطين والأمراء قد حاول الاستيلاء علي أملاك الوقف للحصول علي المال، وبالتالي لن تصل الصدقات لمستحقيها؛ ففي عام٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م استدعي الأمير برقوق القضاة والشيوخ وتحدث معهم في حل أراضي الأوقاف علي المساجد والجوامع والمدارس والخوانق والزوايا والربط بحجة أنهم يحصلون علي أموال كثيرة وهذا يضر بالجيش، ولكن شيخ الإسلام سراج البلقيني رد عليه قائلًا: "إن أوقاف الجوامع والمساجد والمدارس والخوانق التي هي علي علماء الشريعة والفقهاء وعلي المؤذنين وأئمة الصلاة ونحو ذلك لا يحل

---

(٥٠) السخاوي: الضوء اللامع ج ٢، ص ١٤٢.

(٥١) السخاوي: الضوء اللامع ج ٤، ص ١٩٢.

(٥٢) النويري (شهاب الدين بن أحمد بن عبدالوهاب النويري توفي ٧٣٣ه/ ١٣٣٣م): نهاية الإرب في فنون الأدب، ج٣٢، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت - دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م، ص ٩٨.

لأحد التعرض بحلها بوجه من الوجوه " [٥٣]وانتهي المجلس بلا طائل ولم يحصل برقوق علي ما يريده.

مهام وأدوار أخري للمؤذن:

لم يقتصر دور المؤذن علي الإعلام بوقت الصلاة فقط بل كان يقوم بمهامٍ أخري؛حيث كان يقوم بالتسحير في ليالي رمضان فيوقد فوانيس علي سطحِ المسجد وينادي بالسحور أولًا ثم يشرب الماء ثم ينادي قرب الصباح ثم قرب الأذان ثم يطفئ الفانوس ويؤذن لصلاة الفجر والناس عليها مراقبة الفانوس [٥٤] ويبدأ التسحير عند مؤذني القاهرة بعد منتصف الليل وقبل الفجر بقليل بحيث يكون بين الأذان والسحور قدر خمسين آية [٥٥]، ولذلك يجب أن يكون هناك مؤذنان أحدهما يؤذن أول الليل والآخر قبل طلوع الفجر [٥٦]، كما قال الرسول " كلوا واشربوا عند أذان بلال وامنعوا عند أذان ابن أم مكتوم[٥٧]، ثم يقرأون آيات الصيام عدة مرات وغيرها من القرآن الكريم وينشدون القصائد [٥٨]، وفي مكة كان التنظيم المتبع في العصر

---

(٥٣) المقريزئ: السلوك ج٣ق١، ص ٣٤٥-٣٤٦.

(٥٤) ابن جبير (أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير توفي ٦١٤ه/ ١٢١٧م): رحلة ابن جبير، تحقيق حسين نصار، القاهرة - مكتبة مصر، ١٩٩٢م، ص١٦٩-١٧٠؛ ابن الاخوة:معالم القربة، ص ١٧٨؛ ابن بطوطة (عبدالله بن محمد بن إبراهيم توفي ٧٧٩ه/ ١٣٧٧م): تحفة النظار في غرائب الامصار المعروفة برحلة ابن بطوطة، بيروت - دار صادر ١٩٩٢م، ص ١٦٦ ؛ الحنفي (عبد الله الغازي المكي الحنفي توفي ١٣٦٥ه/ ١٩٤٥م) ، إفادة الأنام بذكر البلد الحرام، ج١، تحقيق عبدالملك بن دهيش، مكتبة الأسدئ، مكة، ط١، ٢٠٠٩م، ص٧٢٩.

(٥٥) السبكي:معيد النعم، ص ١١٥، ابن الحاج: المدخل الي الشرع الشريف ج٢، ص ٢٣٨.

(٥٦) ابن الحاج: المدخل الي الشرع الشريف ج ٢، ص ٢٣٨.

(٥٧) البيهقي:السنن الكبري ج ١، ص٦٣٠.

(٥٨) ابن الحاج: المدخل ج ٢، ص٢٤٠.

المملوكي في شهر رمضان بأن يقوم جماعة من المؤذنين بالتسحير علي الجبال الأربعة بحيث يكون علي كل جبل مؤذن (٥٩)

كما أوكل إلي المؤذنين القيام بالصلاة والمديح النبوي؛ فكانوا ينشدون من فوق الدكة " اللهم صلّ وسلم وبارك علي أنبل العرب والعجم وإمام مكة والمدينة الذي فضله العنكبوت ونسج علي الغار نسيجه والذي حياه الضب وإنفلق القمر أمامه سيدنا محمد وآله وصحبه " (٦٠)

أما التسبيح والذكر فيمكن للمؤذن أن يزيد فيه في ليالي رمضان (٦١)، وأحيانًا كان المؤذن يسبح ويندب الأطلال بصوت حزين أقرب إلي النواح فلا يعرف الناس في أي وقت هم، وكذلك الصلاة والتسليم علي الرسول جعلوه في أربع أوقات؛ عند طلوع الفجر وبعد أذان العشاء ليلة الجمعة وبعد خروج الإمام من المسجد علي الناس يوم الجمعة وعند صعوده المنبر(٦٢)، وهذا ما رأه ابن الحاج مخالفا للسنة.

وكانت بداية التسبيح في مصر منذ أيام مسلمة بن مخلد عندما سمع نواقيس بالليل فشكي إلي شرحبيل عريف المؤذنين فأمر بتمطيط الأذان أكثر الليل، ثم إن الأمير أحمد بن طولون خصص حجرة بها اثني عشر مُكبرًا بحيث يقوم كل ليلة أربعة منهم يكبرون ويسبحون ويحمدون الله ويقرأون القرآن بألحان ويتوسلون وينشدون قصائد زهدية وعندئذ اعتاد الناس علي

---

(٥٩) ليلي أمين عبدالمجيد: التنظيمات الإدارية والمالية في مكة في العصر المملوكي، لندن – مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠١٠م، ص٢٥٨.

(٦٠) حسني محمد نويصر: دكك المؤذنين في العصرين المملوكي والعثماني، القاهرة –مجلة معهد الدراسات الشرقية، ع٢٥، ١٩٩١م، ١٥، ١٨.

(٦١) ابن الأخوة: معالم القربة، ص ١٧٨.

(٦٢) ابن الحاج: المدخل ج ٢، ص ٢٣٤.

قيام المؤذنين في الليل وصار يعرف ذلك بالتسبيح، وفي عهد صلاح الدين الأيوبي أمر المؤذنين أن يعلنوا وقت التسبيح علي المآذن بالليل فواظبوا علي ذلك كل ليلة بسائر جوامع مصر والقاهرة واستمر ذلك خلال العصر المملوكي (٦٣)، كما كان التذكير والتسبيح في نهار الجمعة أمرًا محدثا يقوم به المؤذنون ليتهيأ الناس لصلاة الجمعة (٦٤)، وخاصة في الثلث الأخير من الليل، ويذكرون في أيام الجمع قبل صلاة الجمعة ويسلمون ثم يهللون ويكبرون بعد الصلاة وكذلك قبل وبعد صلاة العيد(٦٥)

وفي أوقات أخري كان القاضي يأمر بزيادة الأذكار والتسبيح والتحميد؛ ففي ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م أمر القاضي تقي الدين السبكي المؤذنين بأن يقولوا" استغفر الله العظيم ثلاثًا واللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام "، ثم اثبت لهم من السنة بعد صلاتي الصبح والمغرب " اللهم أجرنا من النار سبع مرات وأعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثا " وألزمهم بفعل ذلك (٦٦)، كما جرت العادة أن يقوم المؤذن بالتكبير خلف الإمام في الصلوات الخمس وغيرها(٦٧)، وقد جمعت مجموعة من حجج الوقف المهام الواجبة علي المؤذن منها الأذان لكل صلاة في وقتها والتسبيح في أواخر الليل في الوقت المعتاد والتبليغ خلف الإمام وقراءة سورة الإخلاص والمعوذتين والحزب المعتاد والأذكار السلطانية

---

(٦٣) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٤، تحقيق أيمن فؤاد سيد، لندن - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٩٩٥م، ص٨٩؛ السيوطي:الوسائل في مسامرة الأوائل، تحقيق محمد السعيد بسيوني، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م، ص ١٥.

(٦٤) المقريزي: الخطط ج٤، ص ٩٠.

(٦٥) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ١٩٠-١٩١.

(٦٦) ابن كثير: البداية والنهاية ج١٤، ص ٢١١.

(٦٧) ابن حبيب:تذكرة النبيه ج ٢، ص ٤٠٩.

ويصلون علي النبي ويختمون بالذكر والتأمين بعد الصلاة [٦٨]، ومن مهام المؤذن أيضًا أن ينادي علي الموتي للصلاة عليهم مثلما حدث عند وفاة أحمد ابن عبد الله بن ظهيرة المكي المقرىء والمحدث [٦٩]في حين نهي الفقيه السبكي عن هذا الفعل واعتبره بدعة [٧٠].

كما كان المؤذنون يدعون للسلطان كل جمعة وبعد كل صلاة وخاصة عندما يقوم السلطان بأعمال خيرية لوجه الله مثلما جدد السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون عمارة الجامع الأزهر ووفر المياه العذبة ومكتب السبيل ورتب للفقراء المجاورين طعامًا كل يوم ورتب دروسًا للفقهاء الحنفية [٧١]

وكذلك عند تولية سلطان جديد، فكان يؤذن المؤذنون في المسجد ليلًا أو نهارًا مثلما حدث حينما انتهي النزاع بتولية المنصور لاجين اجتمع الجميع علي ذلك في قلعة دمشق ودقت البشائر وفي السحر ذكر المؤذنون بجامع دمشق وتلوا قوله تعالي " قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ..... إلي آخره" وذكروا اسم المنصور ودعوا له[٧٢]، كذلك في عام ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م حينما عاد السلطان الناصر محمد بن

---

(٦٨) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ١٩٠ ؛ حسني نويصر: دكك المؤذنين، ص ١٥-١٨.

(٦٩) السخاوي:الضوء اللامع ج ٢، ص ٦٨، ج٨، ص ١٨٢.

(٧٠) ابن الحاج:المدخل الي الشرع ج ٢، ص٢٣٣.

(٧١) المقريزي: الخطط ج ٤، ص١٠٤.

(٧٢) النويري: نهاية الإرب ج٣١، تحقيق عبدالعزيز الأهوانى، القاهرة - الهيئة العامة، ١٩٩٢م، ص ٣١١٧-٣١٨؛ ابن كثير:البداية والنهاية ج ١٣، ص ٣٨٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، القاهرة - دار الكتب، ١٩٣٩م، ص ٦٦؛ العيني (بدر الدين محمود بن أحمد بن موسي توفي سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ج٣، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة - الهيئة العامة، ١٩٩٠م، ص٣٤٩ ص، ٣٥٢.

قلاوون إلي دمشق واجتمع الأمراء إلي لقائه وزينت دمشق وركب من الكرك ودعا له المؤذنون في المآذن ليلًا وفي صلاة الصبح ونودي بالأمان في الناس(٧٣)، أوعندما يعود أحد الأشخاص لتولي وظيفيته مرة أخري وعندما عاد القاضي السبكي إلي وظيفته قاضي القضاة بدمشق تلقاه جماعة من الأعيان وكثير من الناس وأشعلوا الشموع وقابله المؤذنون وهم يكبرون ويهللون(٧٤)

وأحيانًا كان المؤذن يقوم بدور المُبلغ عن الأخبار الواردة ففي عام ٧١٢هـ/ ١٣١٢م قدم إلي دمشق كتاب من السلطان الناصر محمد بن قلاوون بألا يولي أحد بمال ولا برشوة فقرأه ابن الزملكاني وبلغ عنه ابن حبيب المؤذن، وفي ٧١٤هـ/ ١٣١٤م قرأ جمال الدين القلانسي مراسيم السلطان وبلغ عنه صدر الدين بن صبح المؤذن ثم مرسوم آخر عن المساجين والفلاحين بلغ عنه أمين الدين محمود بن مؤذن النجيبي (٧٥)

وفي مناسبة عودة السلطان المملوكي منتصرًا كان للمؤذن مهمة أخري؛ ففي عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م عاد الأشرف خليل بن قلاوون إلي القاهرة منتصرًا بفتح عكا وسقوط آخر معاقل الصليبيين في الشام فخرج الناس لمشاهدته ولما وصل إلي المدرسة المنصورية ترجل من علي فرسه ووقف عند قبر والده الشهيد فوجد هناك القضاة وسائر أرباب الوظائف والعلماء والقراء والمؤذنين وتلقوه بالدعاء له ولوالده الشهيد ثم شرعوا في قراءة القرآن الكريم والدعاء(٧٦)

---

(٧٣) ابن كثير: البداية والنهاية ج١٤، ص ٥٦.
(٧٤) ابن كتير: البداية والنهاية ج١٤، ص ٣٣٩-٣٤٠.
(٧٥) ابن كثير: البداية والنهاية ج١٤، ص٧٦.
(٧٦) العيني:عقد الجمان ج ٣، ص٦٩.

كما كان علي المؤذن السفر مع الخليفة العباسي في الحملات العسكرية ومعه الأئمة والحكماء والأطباء وغيرهم [٧٧]، كذلك لابد من وجود مؤذنين عند استقبال الخليفة العباسي القادم إلي مصر لمبايعة السلطان المملوكي.[٧٨]

وكان هناك مؤذن متميز يصاحب السلطان في أسفاره وحروبه يُطلق عليه مؤذن الركب السلطاني وكان عليه السفر مع السلطان بدون أعذار وفي حالة غيابه أو تأخره عن الركب فكان عقابه التجريس والحبس كما حدث مع شهاب الدين القرداج عام ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م ثم أفرج عنه بعد فترة [٧٩]، وعندما يشارك(المؤذن) السلطان في تجريدة عسكرية فمن المحتمل أن يأسره العدو ويتوفي مثأثرًا بالعقوبة كما حدث مع الشيخ شمس الدين المؤذن المشهور بالديار المصرية والمؤذن شمس الدين محمد الكتاني المؤذن بالديار الشامية [٨٠]، وتوفي أيضًا أثناء المعركة محمد إبراهيم الأزهري الشافعي في ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م [٨١] في حين كان أحدهم يعمل رئيسًا للمؤذنين ومؤدب السلطان الغوري كالشيخ محمد شمس الدين المحلاوي [٨٢]

عدد المؤذنين ورواتبهم والصدقات الممنوحة لهم:

اختلف عدد المؤذنين ورواتبهم من مكان لآخر ومن فترة لأخري

---

(٧٧) النويري: نهاية الإرب ج٣٠، تحقيق محمد ضياء الدين، القاهرة – الهيئة العامة، ١٩٩٢م، ص ٣٦.

(٧٨) الدواداري (أبي بكر بن عبدالله بن ايبك توفي ٧٦٤ه/ ١٣٦٢م):كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، تحقيق أولرخ هارمان، القاهرة – المعهد الألماني للآثار، ١٩٧١م، ص ٧٢-٧٣؛ المقريزي: السلوك ج١ ق٢، ص ٤٤٩ ؛ ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة ج ٧، ص١٠٩.

(٧٩) العسقلانى: إنباء الغمر ج ٣، ص ١٢٦.

(٨٠) السخاوي:الضوء اللامع ج ٩، ص١٠٧ ؛ الصيرفي:نزهة النفوس ج ٢، ص ١٢٩.

(٨١) السخاوى: الضوء اللامع ج ٦، ص٢٥٥.

(٨٢) النجم الغزى: الكواكب السائرة ج١، ص ٨٢.

حسب أهمية المنشأة وموقعها ومساحتها وما تقوم به من أعمال وعدد الصوفية المقيمين بها ووفقًا لشخصية صاحب المنشأة وأوامره ووفقًا للظروف السياسية والاقتصادية في الدولة.

فعندما أنشأ المنصور قلاوون التربة المنصورية عام ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م رتب فيها رئيسًا للمؤذنين وجعل راتبه الشهري ٤٠درهمًا، وستة مؤذنين يعلنون الأذان بالمئذنة الكبري ويقيمون الصلاة ويبلغون خلف الإمام ولكل منهم ٦٠ درهمًا، وفي المدرسة المنصورية رتب فيها رئيس وأربعة مؤذنين ولهم في كل شهر نظير راتب ما لمؤذني التربة [٨٣]، أما ابنه الناصر محمد بن قلاوون أمر ناظر الوقف عام ٧٠٣هـ/ ١٣٠٧م بتعيين ثمانية مؤذنين في القبة والمدرسة، منهم رئيسان عارفان بالأوقات ويعلنون الأذان الشرعي ويصرف لهم ٨٠ درهمًا في الشهر، وللستة الباقي لهم ١٥٠ درهمًا وبهذا يصبح الراتب الشهري ٢٥درهمًا لكل مؤذن، ويصير الراتب الشهري للجميع ٢٣٠ درهمًا[٨٤]، كما جعل في جامع القلعة عشرين مؤذنًا بخلاف القراء والخطباء وخصص لهم رواتب من الأوقاف[٨٥] أما الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي الناصري انشأ خانقاه بدرب ملوخيا ورتب فيها

---

(٨٣) النويري: نهاية الإرب ج٣١، تحقيق عبدالعزيز الأهوانى، القاهرة -الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص ١١٠-١١٢؛ ابن الفرات (ناصر الدين محمد عبدالرحيم توفي ٨٠٧ه/ ١٤٠٤م): تاريخ الدول والملوك المعروف بتاريخ ابن الفرات، ج٨، تحقيق قسطنطين رزيق، بيروت، ١٩٤٢م، ١٥.

وهنا نتسأل كيف أن راتب رئيس المؤذنين أقل من رواتب المؤذنين الأقل منه ؟؟ فربما أخطأ المؤلف في كتابة المبلغ أو كان الرئيس يحصل علي هبات ومنح وعطايا أكبر من السلطان ولم يذكرها المؤلف.

(٨٤) النويرى: نهاية الإرب ج٣٢، ص ٤٤-٤٥.

(٨٥) المقريزي:الخطط المقريزية ج ٤، ص٣١٨، علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية ج٥، القاهرة - المطبعة الأميرية، ١٣٠٥هـ، ص ٧٧.

مؤذنين وخصص لكل منهم ٤٠ درهمًا [٨٦] في حين حدد الواقف في وثائق أخري مبلغ ٣٠ درهمًا نقرة [٨٧] شهريًا للمؤذن [٨٨]

جاء في وثيقة وقف للسلطان الناصر محمد بن قلاوون علي خانقاه سرياقوس عام ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م بأنه أعطي الحق لشيخ الصوفية في اختيار مؤذن للخانقاه من الأربعين صوفيًا بالخانقاه، وحدد راتبه الشهري بـ ٨٠ درهمًا و٥ أرطال خبز كل يوم علي أن يقوم بالأذان والتسبيح والتكبير خلف الإمام في الصلوات الخمس علي أكمل وجه [٨٩]، أما في الخانقاة الباسطية للأمير غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري بمحلة الجسر الأبيض بدمشق فقد اختار بها مؤذنًا صوفيًا بمرتب ٤٠ درهمًا وفي الخانقاه اليونسية كان للمؤذن ٢٠درهمًا فقط [٩٠]، وفي وثيقتين وقف للسلطان حسن بن الناصر محمد(٧٥٢-٧٦٢ه/ ١٣٥١-١٣٦١م) علي القبة والمسجد الجامع والمدرسة ومكتب السبيل بالقاهرة، حدد الواقف ترتيب العاملين بهذه الأماكن حيث رُتب بها ٤٨مؤذنًا مقمسين إلي ثلاث مجموعات ولكل مجموعة رئيس عالم بالمواقيت ويصرف لكل رئيس ٥٠ درهمًا نقرة في الشهر و١٠ دراهم أخري في شهر رمضان أما المؤذنون فكان يُصرف ٤٠ درهمًا لكل مؤذن شهريًا وفي رمضان ١٠ دراهم كما خصص لهم في رمضان ٣

(٨٦) النويري: نهاية الإرب ج٣٣، ص٢٣؛حسني نويصر:دكك المؤذنين، ص ١٦.

(٨٧) درهم نقرة: هو درهم مصنوع من الفضة والنحاس الأحمر بنسبة ثلثين من الفضة وثلث من النحاس الأحمر، أنظر:القلقشندي (شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد توفي ٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الأعشي في صناعة الإنشا، ج ٣، القاهرة –المطبعة الأميرية، ١٩١٤م، ص ٤٤٣، ٤٦٦.

(٨٨) حسني محمد نويصر:دكك المؤذنين، ص١٥-١٦.

(٨٩) ابن حبيب:تذكرة النبيه ج ٢، ص ٤٠٦، ص٤٠٩.

(٩٠) بوران طاهر لبينة: الخانقاوات والزوايا الدمشقية زمن سلاطين المماليك، دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٤م، ص١٧٤، ص ١٨٥.

أرطال من السكر الأبيض لرؤساء المؤذنين ورطلان سكر لكل مؤذن وفي أواخر الشهر الكريم خصص ٥ آلاف درهم لشراء الكحك والتمر والبندق ويفرق ثمنه علي العاملين منها ١٠دراهم لرؤساء المؤذنين و٥ دراهم للمؤذن(٩١)، بالإضافة إلي الطعام الذي يفرق مناصفة؛ جزء منه علي أرباب الوظائف والأئمة والمؤذنين والفراشين والبوابين والمؤدبين والعريفين والأيتام، والنصف الثاني يفرق علي الفقراء والمساكين وذلك في ليلة الجمعة ويوم عاشوراء ورمضان (٩٢).

أما جامع السلطان قايتباي بالصحراء خارج القاهرة حيث القرافة الكبرىٰ، رتب فيه تسعة مؤذنين لهم في الشهر ١٩٠٠ درهم و١٨ رغيف في اليوم (٩٣)، وفي حجة وقف مؤرخة عام ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م لجامع الأمير جوهر والمدرسة والسبيل والمدفن تبين أنه خصص مبلغ ٢٠٠ درهم للمؤذن كل شهر، وفي حجة أخري مؤرخة فيٰ٩١٩هـ/ ١٥١٣م(٩٤) للأمير قرقماس السيفي علي مسجده بالصحراء قرب المدرسة البرقوقية وجدنا أنه حدد مبلغ ١٢٠٠ درهم لستة مؤذنين (٩٥)، أي أن لكل منهم ٢٠٠ درهم في الشهر. ولكن السلطان الغوري منح ٥٤٠٠ درهم لستة عشر مؤذنًا في مسجده ذكرها في حجة الوقف خاصته والمؤرخة عام ٩٢١هـ/ ١٥١٥م(٩٦)، أي أن

(٩١) ابن حبيب: تذكرة النبيه ج ٣، ص ٣٥٣، ص ٣٦٢ ؛ هويدا الحارثي: كتاب وقف السلطان الناصر حسن، ص١٥٧-١٥٨.

(٩٢) ابن حبيب:تذكرة النبيه ج ٣، ص٤١٤- ٤١٨، ص٤٢٩-٤٣٠.

(٩٣) علي باشا مبارك:الخطط التوفيقية ج ٥، ص٧٠ ؛ محمد نويصر: دكك المؤذنين، ص ١٨.

(٩٤) علي مبارك: الخطط التوفيقية ج ٤ ؛ ص٧٦؛ عاصم محمد رزق:خانقاوات الصوفية ج٢، ص ٨٥٧.

(٩٥) علي مبارك:الخطط التوفيقية ج ٥، ص ٧٧.

(٩٦) علي مبارك:الخطط التوفيقية ج٥، ص٦٣؛ محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ١٨٩؛ عبداللطيف إبراهيم: دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر الغورىٰ، مجلة الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٦م.

كل مؤذن بلغ أجرته في الشهر أكثر من ٣٠٠ درهم. وفي بعض الوثائق ما حددت عدد المؤذنين بتسعة أفراد وقد يصل العدد إلي ستة فقط (٩٧)

من خلال وثيقة وقف في القرن ٨هـ/ ١٤م للسلطان السيفي يلبغا علي تربته الكائنة بالحوش بظاهر القاهرة خارج باب النصر تبين أنه تم تعيين رجل من أهل الخير والدين يعمل بوابًا ومؤذنًا ويسقي الماء من الصهريج وأجرته ١٥ درهمًا نقرة في الشهر (٩٨) ونلاحظ هنا أن الواقف اختار مؤذنٌ واحدُ للقيام بعدة أعمال وربما يرجع ذلك الي أن طبيعة العمل في الحوش الموقوف قليلة ولا تحتاج أكثر من رجل وبالتالي فطبيعة المكان تحدد عدد المؤذنيين فيه وأجرتهم. كما نصت وثيقة وقف علي تربة الأمير أبي المعالي عمر بن أبي الجود منجك أن للبواب المقيم والمؤذن مبلغ ٦٠ درهما شهريًا (٩٩)

وفي الحرم المكي حدد في وثيقة وقف للسلطان الأشرف شعبان بن حسين(٧٦٤-٧٧٨ه/ ١٢٦٢-١٣٧٧م) خمسة مؤذنين منهم أربعة يعلنون الأذان علي المآذن الأربعة والخامس يؤذن علي سطح زمزم ويصرف لهؤلاء ٢٠٠٠ درهم سنويا وبهذا سيكون أجر كل منهم ٤٠٠درهم في السنة بمعدل ٣٣وثلث في الشهر، وهناك أربعة مؤذنين آخرين يؤذنون علي الجبال الأربعة المحيطة بمكة ورتب لهم سنويا ١٢٠ درهما أي بمعدل ١٠ دراهم شهريًا كما قررت الوثيقة صرف مبلغ ٤٠٠ درهم لكل مؤذن في الحرم

---

(٩٧) محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص١٨٩ ؛ عبداللطيف إبراهيم، حجة وقف قراقجا الحسنى، مجلة الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٦م، ص٢٠٨.

(٩٨) محمد محمد أمين:فهرست وثائق القاهرة حتي العصر المملوكى، القاهرة - المعهد العلمي الفرنسى، ١٩٨١م، ص٤٣١؛ عماد أبو غازي:وثائق الاشرف طومان باى، ماجستير غير منشور، كلية الأداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٨م، ص٤٢٣، ص٤٣١.

(٩٩) ابن طولون (شمس الدين محمد بن طولون توفي ٩٥٣ه/ ١٥٤٦م): مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ق١، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ١٤٨.

النبوي سنويًا ولكن لم تذكر الوثيقة عدد هؤلاء المؤذنين ولكن يبدو أنهم متساوون في العدد والأجر مع نظرائهم في الحرم المكي [١٠٠]

أما بالنسبة للخانقاوات فقد اختلف عدد المؤذنين في كل خانقاه عن الأخري كما هو الحال في العمائر الدينية الأخرى، ولكن هنا اشترط أن يكون المؤذن من الصوفية وليس خارجًا عنها؛فالأمير جمال الدين الأُستادار[١٠١] رتب في المدرسة والخانقاه ستة مؤذنين من الصوفية من أهل الخير والثقة والأمانة وقسمهم إلي مجموعتين ورئيسين وأعطي لكل رئيس منهما ١٥درهم زيادة علي راتبهم الأصلى[١٠٢] ومن الخوانق ما اكتفيت بمؤذن واحد كالخانقاه الناصرية بسرياقوس [١٠٣]، وكذلك في خانقاه الباسطية [١٠٤]، وكانوا ثلاثة بالصرغتمشية بجبانة المماليك، وستة بالبرقوقية بالنحاسين، وتسعة في خانقاه إينال وقايتباى، وسبعة وعشرين بالمؤيدية، وبعض الخوانق قد خلت تمامًا من مؤذن ومئذنة مثل خانقاه الغوري [١٠٥]

---

(١٠٠) راشد سعد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان علي الحرمين، الرياض -مكتبة الملك فهد، ١٩٩٤م، ص ٩٨، ص ١١٩.

(١٠١) الأُستدار: هو لقب مملوكي يطلق علي القائم علي الشؤون الخاصة للسلطان، ويقوم صاحبها برعاية أمر البيوت السلطانية كلها من المطابخ والشراب خانة والحاشية والغلمان ويمشي وله حرية التصرف التام في استدعاء ما يحتاجه البيوت السلطانية من النفقات والكساوى، أنظر: محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكى، دار الفكر المعاصر -بيروت، ١٩٩٠م، ص١٤-١٥.

(١٠٢) محمد عبدالستار:وثيقة وقف جمال الدين الأستادار -دراسة أثرية وثائقية، القاهرة - دار المعارف، ١٩٨٣م، ص ١٦٩-١٧١.

(١٠٣) ابن حبيب:تذكرة النبيه ج ٢، ص٤٠٦، ص ٤٠٩؛ دولت عبدالكريم: الخوانق في مصر في العصرين الإيوبي والمملوكى، دكتوراة غير منشورة، أداب القاهرة، ١٩٧٣م، ص٢١٥.

(١٠٤) بوران طاهر لبينة: الخانقاوات والزوايا الدمشقية، ص١٧٣.

(١٠٥) دولت عبدالكريم:الخوانق في مصر، ص ٢١٥.

في حين هناك بعض المصادر لم توزع المرتبات علي أرباب الوظائف في المكان فيذكر لنا ابن تغري بردي بأن الأمير شيخون عين في جامعه مدرسًا حنيفيًا وقُراء ومؤذنين وغيرهم وكان راتبهم جميعًا ٣٠٠٠ درهم في الشهر [١٠٦] دون معرفة كيفية تقسيم المبلغ عليهم. كذلك في خانقاه الأشرف برسباي فجاء في وثيقة الوقف أنه حدد لها أربعة مؤذنين وفراشين بالمدرسة والتربة والقبة ولهم ١٢٠٠ درهم شهريًا و٦ أرطال خبز يوميًا[١٠٧]

بالإضافة إلي صدقات وهبات خاصة من بعض الأمراء؛ فالأمير جمال الدين آقوش الأشرفي جاء إلي القاهرة عام ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م وزار المدرسة الصالحية النجمية بخط بين القصرين وكان بها ستة مؤذنين فخصص من ماله ١٠ دراهم لكل مؤذن شهريًا [١٠٨]، كما كان للنساء صدقات وهبات تُصرف صدقة جارية للمتوفي ففي عام ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م توفي علاء الدين علي ابن الناصر محمد وعمره ست سنوات فأوقفت أمه من ميراثها ثمن خبز يُفرق علي من يعمل في تربة ابنها من المؤذنين والقراء والقومة [١٠٩]، وفي عام ٨١٩هـ/ ١٤١٦م قام الطواشي زين الدين فارس بالطواف علي الجوامع والمدارس والخانقاوات ووزع مبلغًا كبيرًا من الفضة المؤيدية علي الفقراء والقراء والأئمة والمؤذنين وغيرهم فبلغ نصيب كل فرد ١٤ دينار مؤيدي [١١٠]

(١٠٦) المقريزي: السلوك ج٢ق٣، ص ٨٦٤؛ ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة ج ١٠، ص ٢٦٩.

(١٠٧) علي مبارك: الخطط التوفيقية ج ٤، ص ١٢١-١٢٢؛ عاصم محمد رزق:خانقاوات الصوفية ج ٢، ص ٦٢٠.

(١٠٨) المقريزي:السلوك ج٢ق٢، ص ٣١٧؛ النويري: نهاية الإرب ج ٣٣، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(١٠٩) النويري:نهاية الإرب ج ٣٢، ص ١٣٠.

(١١٠) المقريزي:السلوك ج٤ق١، ص ٣٤٢.

مزيد من التفاصيل عن أجور العمال والموظفين في الوقف ومدي كفايتها لحاجتهم، أنظر: أدم صبره، الفقر والإحسان، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة، المجلس الأعلي للترجمة، ٢٠٠٣م، ص ١٩١-٢٠٦.

ومن هنا يتبين لنا أن أجر المؤذن في كل المنشآت أقل من راتب الطلبة وبالتالي لم يكن يكفيهم لسد حاجاتهم المعيشية ولذلك وجدنا العديد منهم يجمع بين وظيفتين أو أكثر وبعضهم عمل بصناعة أو تجارة ما ليسد نفقاته.

الأذان وما طرأ عليه من تغييرات:

الأذان والإقامة فرض مثل الصلوات المكتوبة وأفضل من الإمامة، وهو أمر مشروع بالقرآن والسنة؛ فقال تعالي " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَي ذِكْرِ اللهَّ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ "(١١١)، وفي السُنة حيث قال رسول الله:" إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم احدكم " (١١٢)

وينبغي علي المؤذن أن يُمد صوته في التشهد، وفي الصباح عليه أن يقول بعد "حي علي الصلاة وحي علي الفلاح " الصلاة خير من النوم مرتين ويستحب أن يرتل الأذان(١١٣)، ويستحب أن يكون المؤذن علي طهارة ويستقبل القبلة وعندما يبلغ حي علي الصلاة وحي علي الفلاح وهما دعاء للإنسان فعليه أن يلتفت يمينًا ويسارًا (١١٤)

وقد كان الأذان في مصر- كأذان المدينة المنورة- في جامع عمرو بن العاص والعسكر وجامع أحمد بن طولون وبقية المساجد حتي قدم جوهر الصقلي مصر وصلي الجمعة بمسجد ابن طولون في ٨ جمادي الأول ٣٥٩هـ

(١١١) سورة الجمعة، الأية (٩) .

(١١٢) صحيح البخاري، باب صلاة الجماعة والإمامة.

(١١٣) الشيرازي:التنبيه في الفقه، ص ١٩.

(١١٤) الشيرازي:التنبيه في الفقه، ص ١٩؛ برهان الدين ابو المعالي محمود الحنفي: المحيط البرهاني في الفقه النعماني، تحقيق عبدالكريم سامي، ج١، بيروت -دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م، ص٣٤٠ ؛ عبدالرحمن الجزيري:الفقه علي المذاهب الاربعة ج١، بيروت -دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، ص٢٨٧.

/ ٩٦٩م فأمر المؤذنين بزيادة "حي علي خير العمل " فكان هو أول من أذن به بمصر ثم في سائر المساجد [١١٥]، وفي العام التالي أمر جوهر الرومي والي دمشق أن يُعمم نفس العبارات في الأذان والإقامة، ولم يجرؤ أحد علي مخالفته رغم تألم الناس ورفضهم لذلك [١١٦] وفي عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي جمع مؤذني القصر وسائر الجوامع وقاضي القضاة عام ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م وقرأ عليهم مرسوم بترك "حي علي خير العمل " وأن يقال في أذان الفجر " الصلاة خير من النوم وذلك بعد السلام علي أمير المؤمنين، وفي العام التالي عاد المؤذنون إلي ما سبق[١١٧]، أما في عام ٤٠٥هـ / ١٠١٤م استحدث الفاطميون تغييرات وزيادات أخـري حيث أمر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بمنع مؤذني القصر من قولهم بعد الأذان " السلام علي أمير المؤمنين" وأمرهم أن يقولوا " الصلاة رحمك الله " [١١٨]، ومع تولي أبي علي أحمد الأفضل شاهنشاه الجمالي بن أمير الجيوش منصب الوزارة وسيطر علي البلاد وكان إماميًا متشددًا فخالف أذان الدولة وأمر بالدعاء للإمام المهدي المنتظر وأزال " حي علي خير العمل " وكذلك " محمد وعلي خير البشر" وعندما قتل الأفضل عاد الأذان كما كان.[١١٩]

ولكن في عهد صلاح الدين الأيوبي عندما تولي الوزارة عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م وكان علي المذهب الشافعي تغير الوضع وأبطل ما سبق

(١١٥) ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر ج٦، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٦١م، ص ١٢٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٤، ص٣٣ ؛ علي إبراهيم حسن: تاريخ جوهر الصقلي، القاهرة – مطبعة السعادة، ١٩٦٣م، ص ٦٠.

(١١٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٤، ص ٦١.

(١١٧) الأنطاكي (يحيي بن سعيد بن يحيي الأنطاكي): تاريخ الأنطاكي، تحقي عبدالسلام تدمري، لبنان – جروس برس، ١٩٩٠م، ٢٨٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٤، ص ٢٢٣.

(١١٨) المقريزي: الخطط ج ٤، ص ٨٤.

(١١٩) ابن تغري بردي: النجوم ج٥، ص ٢٣٢.

بمعني أنه أبطل الأذان بـ "حي علي خير العمل" و"محمد وعلي خير البشر"[١٢٠]، وصاروا يؤذنون في مصر والشام بأذان أهل مكة- أي الأذان السّني الذي ساد في العصر العباسي بمكة، والذي يضاف فيه تقديس النبي محمد الي الأذان- وفيه تربيع التكبير وترجيح الشهادتين، كما جعهلم يقولون " السلام علي رسول الله " واستمر ذلك قبل أذان الفجر بمصر والشام والحجاز[١٢١] وفي ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م دخل سيف الإسلام أخو صلاح الدين الأيوبي مكة المكرمة وأمر المؤذنين بالحرم المكي بمنع الأذان بـ "حي علي خير العمل "[١٢٢].

وفي عهد الدولة المملوكية ومع انتشار مذهب أبي حنيفة وإنشاء المدارس صار المؤذنون في المدارس الحنيفية يؤذنون بأذان أهل الكوفة، وفي ليلة الجمعة إذا فرغ المؤذنون من التأذين للعشاء وقبل الفجر سلموا علي رسول الله بقولهم " الصلاة والسلام عليك يا رسول الله " وذلك مما أحدثه المحتسب صلاح الدين عبدالله البرلس عام ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م واستمر ذلك وتم تعميم هذا ليشمل كل أذان وليكون في صلب الأذان وليس خاتمة له.[١٢٣]

وفي سنة ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م أحدث السلام علي النبي عقب آذان العشاء ليلة الآذان الاثنين مضافًا إلي ليلة الجمعة بدمشق [١٢٤].

---

(١٢٠) المقريزي:إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا، ج٣، تحقيق محمد حلمي محمد، القاهرة - المجلس الأعلي للشئون الاسلامية، ١٩٩٦م، ص ٣١٧.

(١٢١) المقريزى: الخطط ج ٤، ص٨٥.

(١٢٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٦، ص ٩٤.

(١٢٣) المقريزي:الخطط ج ٤، ص ٨٤-٨٧ ؛ السلوك ج٣ق١، ص٩٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ١١، ص ٦٨.

(١٢٤) العسقلانى: إنباء الغمر ج١، ص ٢١٨؛ السيوطي:حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج٢ تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، القاهرة - دار الكتب العربية، ١٩٦٧م، ص٣٠٦ ؛ ابن إياس، بدائع الزهور: جـ١ق٢، ص ٢٦٥.

ثم توقف ذلك حتي حدث تغيير جديد بعد عشر سنوات مرجعه أكذوبة المنامات التي برع فيها شيوخ التصوف، وكان للتصوف سطوته في العصر المملوكى، وكان أولياؤه يتمتعون باعتقاد الناس في خوارقهم وكراماتهم وعلمهم اللدني ومناماتهم، وكل الأكاذيب التي ينسبونها لأنفسهم ولأوليائهم كاذبة قصها أحد مدعي الصوفية، ففي أول شعبان عام ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م أمر السلطان الظاهر برقوق المؤذنين بالقاهرة ومصر أن يزيدوا في الأذان " الصلاة والسلام عليك يا رسول الله "عدة مرات لجميع الصلوات ماعدا أذان المغرب (١٢٥)، حيث ادعي أحد المتصوفة أنه رأي الرسول الكريم في المنام وأمره بأن يطلب من المحتسب بالقاهرة نجم الدين الطنبدي أن يُلزم المؤذنين بالصلاة علي النبي عقب كل أذان فوافق المحتسب علي ذلك وبالتالي حقق الصوفي منامه بعد أن وعد زملاءه بذلك (١٢٦)، علي أية حال كان المحتسب الطنبدي "شيخًا جهولًا، وبلهانًا مهولًا، سيىء السيرة في الحسبة والقضاء، متهافتًا علي الدرهم ولو قاده إلي البلاء، لايحتشم من أخذ البراطيل والرشوة، ولا يراعي في مؤمن إلا ولا ذمة، قد ضري علي الآثام، وتجسد من أكل الحرام، يري أن العلم إرخاء العذبة، ولبس الجبة، ويحسب أن رضا الله سبحانه في ضرب العباد بالدرة وولاية الحسبة، لم تحمد الناس قط أياديه، ولا شكرت أبدًا مساعيه، بل جهالته شائعة، وقبائح أفعاله ذائعة، أشخص غير مرة إلي مجلس المظالم (أي حوكم كثيرا أمام مجلس المظالم) وأوقف مع من أوقف للمحكمة بين يدي السلطان من أجل عيوب فوادح، حقق فيها شكاته عليه القوادح، وما زال في السيرة مذمومًا، ومن العامة

(١٢٥) المقريزى: السلوك ج٣ق٢، ص ٦٣٩؛ ابن تغري بردى:، النجوم الزاهر ج١١، ص ٣٣١، السيوطي: حسن المحاضرة ج٢، ص ٣٠٧؛ ابن إياس: بدائع الزهور ج١ق٢، ص٣٩٠.

(١٢٦) المقريزي:السلوك ج٣ق٢، ص ٦٣٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ١١، ص ٣٣١؛ الصيرفي: نزهة النفوس ج ١، ص ٢٣٢.

ملومًا"[١٢٧] وبهذا تسببت أهواء الجهلة والبلهاء في إحداث البدع في الأذان.

وفي عام ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م أحدث القاضي الشافعي التوسل بجاه النبي عليه السلام بعد صلاة الصبح وأمر المؤذنين بذلك، رغم اعتراض الشيخ ابن العز الحنفي قُبيل ذلك مباشرة علي قصيدة تمدح الرسول وتتوسل به كتبها علي أبن أيبك الصفدي كما انكر فقهاء الحنفية تلك القصيدة وتم اعتقال الشيخ ابن العز عدة شهور[١٢٨]. واستمرت هذا الوضع في مصر والشام بدليل أنه لا تخلو حجة وقف علي أية منشأة دينية من شرط أن يسلموا ويصلوا علي النبى، حتي صارت العامة تعتقد أن ذلك جزء من الأذان ولا ينبغي تركه مما جعل بعض الجهلاء في القري يسلمون بعد الأذان علي المعتقدين فيهم الذين ماتوا.

وهكذا كان ما استحدث في الأذان وما تلاه نوع من الاستغلال السياسي للمساجد والصلاة وخطبة الجمعة وفقًا لأغراض سياسية وتقلبات في السلطة الحاكمة ولأهواء الصوفية والدراويش.

كيفية الأداء الجماعي:

في عهد الخلفاء الراشدين كان عدد المؤذنين ثلاثة في المسجد ويؤذنون الواحد بعد الآخر، وفي عهد الدولة الأموية جعل هشام بن عبد الملك مجموعة من المؤذنين يؤذنون معًا ثم يستريحون وصار ذلك سُنة يتبعها الملوك والسلاطين وبعضهم زاد عن الثلاثة [١٢٩]، ومن هنا جرت العادة أن يحدد الواقف عددًا من المؤذنين في المنشأة مقسمين إلي مجموعات وكل مجموعة

---

(١٢٧) المقريزي:الخطط ج٤، ص ٨٧.

(١٢٨) العسقلاني: إبناء الغمر ج ١، ص٢٥٨-٢٦٠.

(١٢٩) ابن الحاج: المدخل ج ٢، ص ١٩٧.

مكونة من ثلاثة أو أربعة مؤذنين تقريبًا ولها رئيس[١٣٠]، ويتناوبون بالترتيب في أداء الأذان بحيث تجتمع المجموعة الواحدة في مئذنة من المآذن بالمسجد بحيث يبدأ كل واحد بأذان كامل ويبني علي أذان نفسه فيبتدئ من حيث انتهي هو غير معتد بأذان غيره وهذا ما يسمي بالأذان السلطاني أو أذان الجوق[١٣١]، ثم يقومون بالتذكار والسلام علي النبي والتبليغ خلف الإمام علي جاري العادة في ذلك ويتناوبون ذلك نوبة بعد نوبة كل نوبة يومان وليلتان [١٣٢]، وإذا أجاز بعض علماء الفقه هذه الطريقة في الأذان إلا أنهم في نهاية الأمر يعتبرونه أمر غير مستحب لأن السُنة المتبعة أن يؤذن واحد بعد الآخر للصلوات التي أوقاتها ممتدة [١٣٣]، أما في يوم الجمعة فيجتمع المجموعات الثلاثة بين يدي الخطيب ويؤذنون ويبلغون خلفه علي العادة[١٣٤] وكان علي رئيس المؤذنين أن يبدأ بالأذان قبل غيره ثم يتبعه المؤذنون بصوت حسن مع اجتماع الناس في صحن المسجد [١٣٥]، وجرت العادة في الحرم المكي أن يسير رئيس المؤذنين أمام الخطيب عند دخوله المسجد مرتديًا السواد ويحمل علي كتفه السيف ممسكًا به بيده ويسلمه للخطيب ويبادر رئيس المؤذنين بالأذان ويتبعه المؤذنون علي لسان واحد [١٣٦].

---

(١٣٠) النويرئ: نهاية الإرب ج ٣١، ص١١٠، ص١١٢، ج٣٢، ص ٤٥؛ الحنلي (القاضي أبو اليمن مجير الدين توفي ٩٢٧ه/ ١٥٢م): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج٢، الأردن – مكتبة المحتسب، ١٩٧٣م، ص ٩٧.

(١٣١) عبدالرحمن الجزيري:الفقه علي المذاهب الأربعة ج ١، ص٢٨٥ ؛ محمد أمين:الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ١٨٩.

(١٣٢) ابن حبيب:تذكرة النبية ج ٣، ص ٤٠٣-٤٠٤؛ حسني نويصر: دكك المؤذنين، ص ١٦.

(١٣٣) ابن الحاج: المدخل ج ٢، ص ٢٢٩ ؛ عبدالرحمن الجزيري: الفقه علي المذاهب الأربعة ج١، ص ٢٨٥.

(١٣٤) ابن حبيب:تذكرة النبيه ج٢، ص ٤٣٠.

(١٣٥) ابن كثير:البداية والنهاية ج ١٤، ص ٢١١.

(١٣٦) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص ١٠٨-١٠٩ ؛ ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص١٦١.

عقوبات يتعرض لها المؤذن:

ولكن أحيانًا ما يُعرض المؤذن نفسه للخطر وارتكاب جرائم فيعاقب عليها بالسجن أو الضرب أو النفي من البلاد؛ فحدث عام ٦٩١هـ/ ١٢٩١م أن اشترك أحد المؤذنين في دمشق مع عبد أسود في تسلق قلعة الروم ودخل آدر الحرم السلطانية فأمسكوه واعترف علي المؤذن الذي نصب السلك فجاء الأمر السلطاني بقطع أطرافهما وتسميرهما(١٣٧)، وفي عام ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م اشتكي أهل دمشق من سرقة الأموال والغلال والتعرض لهم بالأذي فأمر الوالي بالقبض علي من فعل ذلك وكان منهم الشريف القمي وابن العوفي البردادار وإبراهيم مؤذن بيت لُهيا وعُقبوا جميعا بالتشهير والتعذيب (١٣٨)

أما في ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م وقعت حادثة بين مسلم وفرنجي فقام الأمير علاء الدين مغلطاي بإهانة القاضي والمؤذن شمس الدين البلبيسي وعدد من أهل الثغر والتجار وأخذ منهم خمسين ألف دينار (١٣٩)

كما اتُهم الخليفة المستكفي العباسي في عام ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م بأنه تعلق بأحد مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون وكان يجالسه ويلهو معه في داره التي بناها علي النيل، كما أن أحد الجمدارية بقي بخدمته لفترة طويلة

---

(١٣٧) النويري: نهاية الإرب ج ٣١، ص٢٤٤.

(١٣٨) العيني:عقد الجمان ج ٤، ص٨٠ ؛ أما النويري فذكر ان سبب عقوبتهم لأنهم تعرضوا للمسلمين بالأذي عند التتار وسمحوا لهم بالتسلط عليهم، انظر: نهاية الإرب ج ٣١، ص٤٠٧.

(١٣٩) النويري: نهاية الإرب ج ٣٣، ص ١٧٨، ولم تذكر المصادر مدي تورط المؤذن في تلك القضية.

وكان أحد مؤذني القلعة يدوم بدور الوسيط بين الجمدار[١٤٠]والخليفة فلما تأكد السلطان من الوضع أمر بالقبض علي الجمدار وضرب ونفي إلي صفد، كما ضرب المؤذن، أما الخليفة وأهله أرسلهم الي قوص [١٤١]، كما قام أحد المؤذنين بمأذنة الشامية عام ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م بسرقة ملابس حريرية وطعام وأوانى، وتم القبض عليه وقيدوه بالسلاسل وخرج علي أسوء حال في الشوارع ووضعوا علي رأسه طبلية فيها ما سرقه وأمامه عدة طبالي وتمت محاكمته واستنكر الناس ما فعله باعتباره رجل دين [١٤٢]

ويبدو أن المؤذن صاحب الوظيفة الدينية لم يكن ذا شأن عند بعض الناس ويقدمون علي أهانته وسبه وضربه بدون وجه حق؛ ففي عام ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م أقام جماعة من مبيضي النحاس عُرسًا بناحية بُرما بالغربية وأحضروا المغاني وأصحاب الملاهي وأثناء ذلك ما كاد يصعد المؤذن علي سطح المسجد ليسبح ويوحد الله ويذكر كالعادة المتبعة في جوف الليل وسمعه أصحاب العُرس بادروا علي الفور بإهانته وسبه وأرادوا قتله وكذلك قتل مساعده واضطر المؤذن إلي الخروج من المسجد واتجه إلي الامير جركس الخليلي ومعه بعض الناس فقبض عليهم جميعًا وسجنهم، ولكن

---

(١٤٠) الجمدار: هو الشخص المسؤل عن إلباس السلطان أو الأمير، وأصلها كلمة فارسية معناها الملابس داخل البيت، أنظر: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٥٤.

(١٤١) اليوسفي (موسي بن محمد بن يحيي توفي ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م): نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، بيروت، ١٩٨٦م، ص٣٦٢؛ شمس الدين الشجاعى: تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون، تحقيق برابرة شيفر، فيسباون، ١٩٧٨م، ص١١٤؛ المقريزي:السلوك ج ٢ق٢، تحقيق محمد مصطفي زيادة، القاهرة- الهيئة العامة، ١٩٤٢م، ص ٤١٦.

(١٤٢) ابن طولون: مفاكهة الخلان ق١، ص ١٧٧.

بعض العلماء اشتكوا للسلطان، وطلبوا منه التحقيق في الواقعة وثبت أن الأمير جركس كان يساند المبيضين ويشجعهم علي ذلك فأمر السلطان بالقبض علي المبيضين وسجنهم وأعاد الحق للمؤذن (١٤٣)

موضع أداء الأذان:

في بداية الأمر لم يكن للمسجد مئذنة أو محرابًا مجوفًا أو منبرًا بل تم إضافة هذه العناصر فيما بعد مع اتساع الدولة الإسلامية وتطور فنون العمارة والزخرفة وازدياد أعداد المسلمين فصارت المساجد تضاهي أرقي وأروع بيوت العبادة في تلك الفترة فادخل فيه الأعمدة والقباب والمقرنصات (١٤٤) والمنابر والمقصورة والدكة والمئذنة وغيرها، وما يهمنا هنا هي المواضع التي كان المؤذن يقف فيها لأداء الأذان عند الصلاة.

الصوامع والمقاصير:

كلما زاد اتساع المسجد كلما استحدث فيه عناصر أخري لم تكن موجودة من قبل، في بداية الأمر كان سطح المسجد هو أول موضع يقف فيه المؤذن لتأدية الأذان، ولكن مع اتساع الدولة الإسلامية والتطور العمراني

(١٤٣) المقريزي: السلوك ج٣ق٢، ص ٤٩٢ ؛ العسقلاني:إنباء الغمر ج١، ص٢٧٣-٢٧٤؛ الصيرفى: نزهة النفوس ج١، ص٦٧-٦٨.

(١٤٤) المقرنصات: هي حلية معمارية تشبه خلايا النحل وتُري في العمائر في طبقات مصفوفة بعضها فوق بعض وتستعمل إما للزخرفة أو التدرج من شكل إلي آخر واستخدمت المواد المختلفة في صناعة المقرنصات مثل الخشب والرخام والحجر والجص، أنظر: محمد حمزة إسماعيل الحداد: المدخل إلي دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، القاهرة – مكتبة زهراء الشرق، ط٣، ٢٠٠٨م، ص١٠٠.

وجد بالمسجد بناء جديد سمي في البداية الصومعة أو المئذنة؛ حيث أطلق العرب لفظ الصومعة علي المئذنة نسبة إلي أبراج الكنائس والمعابد وأبراج الحراسة والمراقبة وفي القلاع والحصون منذ العصور القديمة وبعد المسيحية أيضًا واستمر ذلك معروفًا في الشمال الأفريقي ومصر (١٤٥)، وتتميز المآذن الإسلامية بأنها جميعًا متشابهة في أنها ترتفع من الارض مباشرة وتعتبر جزءًا منفصلًا أو متصلًا بالمسجد أما أبراج الكنسية تعتبر جزءًا جوهريًا في تصميمها غير منفصل عن عمارتها(١٤٦)

وقد قيل إن معاوية بن أبي سفيان أول من أمر ببناء الصوامع للأذان في المسجد الجامع بالفسطاط (مسجد عمرو بن العاص) وأنشأ الوالي مسلمة بن مخلد عام ٥٣هـ/ ٦٧٢م أربع صوامع في أركانه الأربعة وهو أول من فعلها عند توسعته فكانت علي هيئة أبراج بسيطة (١٤٧) كما سميت المئذنة بالمنار نسبة إلي الفنار الذي يُشعل فيه النار للإضاءة وهداية السفن ويفسر

---

(١٤٥) فريد شافعي: العمارة في عصر الولاة، القاهرة - الهيئة العامة، ١٩٧٠م، ص ٦٣٧-٦٤٠؛ زكي حسن: فنون الإسلام، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ١٤٤؛ عفيف بهنسي: العمارة عبر التاريخ، دمشق -دار طلاس، ١٩٨٧م، ص ١٦٨.

(١٤٦) فريد شافعي: العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها، الرياض، ١٩٨٢م، ص ١٥٤، انظر شكل (١) .

(١٤٧) المقريزي: الخطط ج ٤:١٤ ؛ ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي توفي سنة ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م):الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج١، بيروت، -المكتب التجارى، ب.ت، ص ٦٢؛ ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ج١، ص٦٨ ؛ السيد محمود عبدالعزيز: المآذن المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٩-١١؛ فريد شافعي: العمارة في عصر الولاة، ص ٦٣٥-٦٤٩.

باحثو الآثار سبب تسميتها بذلك إلي أن المنارات الإسلامية في الشمال الأفريقي ومصر تتشابه في البناء مع المنارات في الموانئ وكذلك في الوظيفة؛ فالأولي تهدي السفن ليلًا والثانية تهدي المسلم إلي الصلاح والإيمان (١٤٨)

أما المقصورة وهي الموضع الآخر لأداء الأذان عبارة عن شرفة أو حجرة أو سياج أو حاجز من الخشب ونحوه يحاط بمكان ما في المسجد يُخصص لصلاة السلطان أو الوالي بقصد حمايته(١٤٩)، وهناك روايات تاريخية توضح لنا أن أول من استعمل المقصورة هو الخليفة عثمان بن عفان حيث وضعها علي مصلاه بارتفاع ذراعين عن أرضه وكانت عبارة عن بناء من الطوب اللبن، وفيها فتحات ينظر منها الناس إلي الإمام، وذلك خشية أن يتعرض للقتل مثلما حدث مع عمر بن الخطاب، ثم جددها الخليفة عمر بن عبد العزيز، وجعلها من خشب الساج (١٥٠)، ثم جددت المقصورة في عهد الخليفة المهدي العباسى، وجعلها في مستوي الأرض، وعلي أيه حال لم تكن المقصورة قاصرة علي صلاة الخليفة أو الوالي بل كان يستعملها المؤذنون للإعلان عن الأذان الثاني داخل المسجد وظل الحال علي ذلك حتي عصر

---

(١٤٨) زكي حسن:فنون الإسلام، ص ١٤٤؛ عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، القاهرة -مكتبة مدبولى، ٢٠٠٠م، ص ٣٠٧.

(١٤٩) انظر شكل (٢) .مقصورة جامع عقبة بن نافع في القيروان بتونس.

(١٥٠) المقريزي: الخطط المقريزية ج ٤، ص ٢١؛ نور الدين علي بن عبدالله السمهودى: وفاء الوفا، ج٢ تحقيق قاسم السامرائى، مكة - مؤسسة الفرقان، ٢٠٠١م، ص ٥١٠-٥١٢ ؛ إبراهيم باشا: مرآة الحرمين، ج١، القاهرة، ب.ت، ص٤٦٣ ؛ سعاد ماهر: العمارة الإسلامية عبر العصور، جدة - دار البيان، ١٩٨٥م، ص ١٩٠-١٩١.

الخليفة المعتصم العباسى[١٥١]، ولكن لدينا رواية أخري تفيد بأن الخليفة معاوية بن أبي سفيان أول من عمل المقاصير في الجامع عام ٤٤هـ/ ٦٦٤م) ولعل قرة بن شُريك عندما أنشأ الجامع أمر ببناء مقصورة داخله[١٥٢] وقد استمرت المقصورة في العصر الفاطمي حيث كان الخليفة يدخل المقصورة أما المؤذنون فيقفون بظهورهم إلي المقصورة لحفظه [١٥٣]

دكة المؤذنين:

عندما تولي الخليفة المعتصم العباسي أمر بإخلاء المقصورة من المؤذنين وبناء عنصر آخر خارجها والذي عُرف فيما بعد بدكة المؤذن أو دكة المُبلغ، ويرجع سبب وجود الدكة في المسجد إلي زيادة اتساعه لكثرة عدد المصلين به واتساع صحن المسجد وكذلك الظلات الجانبية وزيادة عمق القبلة جعل من العسير أن يصل صوت الإمام في المحراب إلي جميع المصلين في مؤخر المسجد ومن ثم كانت الحاجة إلي عنصر معماري جديد في المسجد[١٥٤]، وهي عبارة عن منصة خشبية أو حجرية أو رخامية عالية يحيط بها درابزين

---

(١٥١) فريد شافعي: العمارة في عصر الولاة، ص ٦٥٠ ؛ أحمد السعيد، :تاريخ الدول الإسلامية، القاهرة -دار المعارف، ١٩٧٢م، ص١٢ ؛حسني محمد نويصر: دكك المؤذنين، ص١٣.

(١٥٢) المقريزي: الخطط ج ٤، ص٢١-٢٢ ؛ ابن خلدون، المقدمة، القاهرة ١٩٥٧، ص ١٨٨؛ كمال الدين سامح: العمارة في صدر الإسلام، القاهرة - الهيئة العامة، ١٩٩١م، ص ١٣٤.

(١٥٣) ابن الطوير (أبو محمد المرتضي عبدالسلام بن الطوير القيسراني توفي ٦١٧ه/ ١٢٢٠م): نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق أيمن فؤاد السيد، بيروت - دار فرانتس شتاينر، ١٩٩٢م، ص١٧٥ ؛ المقريزي: الخطط ج ٤، ص ١٢٥.

(١٥٤) حسني نوصير: دكك المؤذنين، ص ١٤.

وغالبًا ما ترتكز علي أربعة أعمدة خشبية أو حجرية أو رخامية ويتم الوصول إليها بواسطة سلم [١٥٥] وقد وضعت الدكة في وسط المسجد بحيث يمكن أن يصل إليها صوت الإمام وبالتالي يقوم المُلبغ بترديد أوامر الصلاة التي يؤديها الإمام في المحراب وبذلك يصل صوت المُبلغ إلي المصلين في أرجاء المسجد. أما الوظيفة الأخري للدكة كما جاء في حجج الوقف في العصر المملوكي أوفي المصادر التاريخية المعاصرة فهي أن يقوم المؤذن بتأدية الأذان الثاني من داخل المسجد فمن المعروف أن المؤذنين ينادون للصلاة من فوق المئذنة المُلحقة بالمسجد أو من علي سطح المسجد ثم يهبطون إلي داخل المسجد ويجلسون علي الدكة[١٥٦] التي تكون في مستوي مرتفع عن بقية أرض المسجد في منتصف ظلة القبلة تقريبًا فإذا ما حان وقت الصلاة يقوم هؤلاء المؤذنون بالإعلان عن إقامة الصلاة وبالتالي فالدكة تقوم مقام المئذنة خارجه.[١٥٧] في حين ينكر ابن الحاج وجودها في المسجد، ويري أن الدكة بدعة ومنافية للسُنة لأنه إذا صعد الإمام علي المنبر يوم الجمعة فيجب أن يكون المؤذن علي المنار كما عهدنا ذلك أيام الرسول والخلفاء الراشدين[١٥٨]

وفي المسجد الحرام بمكة المكرمة بُنيت ظلة المؤذنين يجلس فيها المؤذنون يوم الجمعة صيفًا وشتاءً وقد شُيدت منذ عصر هارون الرشيد

---

(١٥٥) عاصم رزق:معجم مصطلحات العمارة، ص ١٠٩؛ حسن عبدالوهاب: المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية - مركز تحقيقات كابتوتير علوم الإسلام، ص ٣٧-٣٨، انظر شكل (٣) .

(١٥٦) المقريزي: الخطط ج ٤، ص ١٢٣؛ النويري: نهاية الارب ج ٣٣، ص ٢٣٠؛ محمد أمين:الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص ١٩٠.

(١٥٧) حسني نوصير: دكك المؤذنين، ص١٤

(١٥٨) ابن الحاج: المدخل إلي الشرع ج ٢، ص ١٩٧.

واستمر ذلك في العصر المملوكي وهي عبارة عن سقف فوق بئر زمزم وفوقه ظلة من الخشب المزخرف وفوقه جمالون[١٥٩] في الوسط مصفح بالرصاص ولها درَج يصعد إليها، ويؤذن فيها رئيس المؤذنين [١٦٠]

ومن هنا يتبين لنا أن المؤذن كان متواجدًا في عدة منشآت مثل المسجد والجامع والخانقاه والتربة والمدرسة والقصر ومع الركب السلطانى، ولم تقتصر هذه الوظيفة علي إعلام الناس بوقت الصلاة بل شملت التسحير في رمضان والأذكار والتسبيح والتكبير قبل الصلاة وبعدها حتي غدا ذلك جزءًا من الأذان، وأكدت حجج الوقف ذلك الأمر، والدعاء للسلطان، كما كان للمؤذن أدوار أخري اجتماعية وسياسية، ولذلك وُضِعت شروط معينة عند اختيار المؤذن، ولأنها كانت وظيفة دينية فلاحظنا أن معظم المؤذنين علي علم ودارية واسعة بعلوم القرآن والحديث وعلم الميقات والفقه، ورغم تلك الأهمية إلا أن راتبه الشهري كان ضئيلًا لا يساعده في سد احتياجاته فاضطر كثير منهم لممارسة مهن أخري تعينهم علي التزامات المعيشة، كما تبين لنا أن صيغة الأذان قد تغيرت بمرور الوقت والحكام وفقًا للسياسة المتبعة في تلك

(١٥٩) جمالون: هي كلمة سريانية واصلها جمل زيدت عليه واو والنون للتصغير، فأصبح معناها الجمل الصغير ويعبر عن السقف المحدب فيقال السقف المسنم مث سنم الجمل، وفي العمارة المملوكية يعني سقف المصنوع من البوص او الخشب وخلافه علي هيئة سنم الجمل، أنظر: محمد محمد أمين، ليلي إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، القاهرة، دار النشر بالجامعة الأمريكية، ١٩٩٠م، ص ٣٠؛ عاصم رزق، معجم المصطلحات والفنون، ص ٦٨.

(١٦٠) أبي عبدالله محمد بن إسحاق الأرزقي: اخبار مكة، ج٢، تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، مكة، مكتبة النهضة الحديثة، ١٩٩٤م، ص٢٠٥؛ الفاسي: العقد الثمين ج١، ص ٨٨-٩٠ ؛ الشيخ أحمد الرشيدي: حسن الصفا والابتهاج، تحقيق ليلي عب اللطيف أحمد، القاهرة - مكتبة الخانكى، ١٩٨٠م، ص ١٢٧؛ المقريزي:السلوك ج١ق٣، ص ١١٨٥؛ جمال الدين محمد جار الله بن ظهيرة القرشي: الجامع اللطيف، القاهرة -دار إحياء الكتب، ١٩٣١م، ص ٢١٦؛ العيني: عقد الجمان ج ٣، ص ٣٠٧.

الفترة، وكان لزامًا علي المؤذن تنفيذ الأمر، وقد شمل ذلك التغيير أيضًا تلك المواضع التي كان يقف فيها المؤذن للتأذين حيث بدأ الأذان علي سطح المسجد ثم في المقصورة ثم الصومعة أو المئذنة وبعد زيادة عدد المصلين واتساع المسجد كانت دكة المؤذنين.

شكل (١)

شكل (٢)

شكل (٣)